المدى جذور التحدي والرهان

عدنان منشد

إذا كانت كرنفالات الشعوب تمثل الوجه المضيء في حياتها، حتى تتراءى ملامحها.. مهما كانت وهي تتشرب بحلاوة الثقافة والفن والجمال، فمن حقنا كعراقيين ان نفخر بكرنفال "المدى" السنوي، لانه يبعث فينا الثقة بالحاضر والامل في المستقبل، إذ ان كثافة إنتاجه ومظاهر إزدهاره يشير ان الى أمر بالغ الاهمية هو ارتفاع منسوب الوعي الحقيقي بحركة الزمن، وبداية انتظام مشهدنا الثقافي في بنية تراكمية من خبرات متنامية، بعد ثلاثة كرنفالات في دمشق والقاهرة وبيروت قبل سقوط سلطة الطاغوت في ربيع ٢٠٠٣، وكرنفالين آخرين في أربيل عاصمة اقليم كردستان العراق خلال العامين المنصرمين.

ان ما يثير الزهو والاعتزاز لدينا نحن العراقيين، ان يقف وراء هذه الكرنفلات الخمسة المتألقة في سماء هذا الوطن وفي دياجير البعض من العواصم العربية المذكورة، رجل سياسي معروف ووطني غيور مغرم بالثقافة العراقية والعربية والعالمية، بعد ان عانى ما عانى من تجربته السياسية التي حملت المحن والويلات والمصائب والغربة، ولكنه ظل وفياً الى نور الثقافة بمصابيحه المجازية او قناديله التصويرية، كاشفا عن المناطق المعتمة في كهوفنا، من أجل ان نقف وبثقة على مداميك التاريخ الجديد لهذا الوطن. انه . باختصار . استاذنا وصديقنا ورفيقنا القديم فخري كريم، المكنى لدينا بـ(ابو نبيل) منذ اربعة عقود خلت.

أقول هذه الحقيقة، وفي ذهني ما يتعرض اليه هذا الرجل النبيل من الافتئات والحسد والغيرة من قبل افراد ومؤسسات ثقافية عربية ومتروبولية في العديد من انحاء العالم، واصفين مؤسسة (المدى) للثقافة والفنون والاعلام، بادارة هذا المعلم الاستاذ بانها مؤسسة شراء المثقف العراقي والعربي عن قرب او بعد، وكأن هذه المؤسسات واولئك الافراد لا يعملون الا بمنطلقات "الوصاية" المقيتة وافعال الثقافة التقليدية واعطال الحداثة، بعد ان أفلسوا تماماً من اعطيات الملوك والزعماء والسلاطين العرب في إقامة مهرجانات ثقافية فقيرة، لا تذر ولا تنذر خصوصاً بعد زلزالنا العراقي في اقامة دولة الدستور، وانتخاب حكومتنا الديمقراطية الراهنة عن طريق الاقتراع، بما يسفر عنه نقد الانسان العراقي والذات والهوية من الرؤى والتوجهات، او اللغات والتوسطات، او القوى والادوات.

. لقد غاب عن هؤلاء الافراد والمؤسسات المذكورة جميعاً، انه لم يعد بوسع المثقف العراقي ان يتحدث عن المهرجانات والكرنفالات الثقافية، إعتماداً على توجهات او مضمون الخطاب الذي تعلنه وزارات الثقافة العربية والدولية في عموم العالم، فقد انتهت سيادة الايديولوجيا وشعاراتها، المذهبية القديمة، ولم تعد النوايا الطيبة لهذه الوزارة او تلك في كافة انحاء المعمورة، هي التي تحدد قامات المشاركين ودرجة اهميتهم . فقد اتضح ان مستويات التوظيف في كرنفالات "المدى" ترتبط بالانجازات التقنية والاتصالية والجمالية، فدونك في هذه الكرنفالات البعض من اصدقائك العراقيين والمغتربين، والبعض من الشعراء والمفكرين العرب في مؤتمرات وندوات وموائد مستديرة وورش معرفية، فضلا عن علوم اللغة، بمباحثها وصرفها ونحوها ودلالتها، ومباحث القانون باشكاليتها المتعددة وادواتها الاجرائية، ثم علوم النفس والبيئة والاجتماع، ثم علم النص بما اسفر عنه من طرق تحليلية للابنية الصغرى والكبرى وكيفية تراتبها.

تجيء كل هذه المباحث والعلوم في مهرجان "المدى" الاول في اربيل عام ٢٠٠٦، وتتعزز طروحاتها في المهرجان الثاني عام ٢٠٠٧، لتصنع تضاريس جديدة للحقول الابداعية، وتستحدث، معها مصطلحاتها وآلياتها.

من هنا الحاجة الماسة الى المساءلة والفحص، والامل في ان تعمم كرنفالات "المدى" في كل دول العالم العربي وبلدان الجوار، وابتداء من نقطة شروعها الاول في دمشق وبيروت والقاهرة، وحتى ملاذها الاخير في "أربيل" العراق.

وهذا يتطلب المراجعة النقدية الدائمة، سواء بدرس النجاحات والمكتسبات، او بتفكيك العوائق وتذليل الممكنات، من اجل فتح الآفاق وخلق الفرص، وعلى نحو يسهم في تنمية وبناء كل ما يتعلق بموارد الثروة ومصادر المعرفة، ومنابع القوة وآليات التأثير والفعالية.

اخيراً نقول، سقياً لعهدنا الجديد، على الرغم مما يحصل فيه من استباحة وفساد واستبداد وتراجع.. وتعساً لما يقال فينا من الغير اللاعراقي بمنطق التداول والمشاركة والافتئات، ما دامت المبادئ سامية والزعامات ملهمة، وما دام المصلحون فنيا، على الرغم من كل شيء اصحاب مهمات او صفات إلهية، وما دام الرعاة يجسدون مثل الحرية والعدالة والتقدم.

وهذا هو التحدي والرهان الذي تعمل به مؤسسة "المدى" منذ جذورها وينابيعها الاولى في ارض الغربة والاغتراب حتى إقامتها المعلنة في عراق الرافدين.

إشكاليات النقد التشكيلي العربي بين المحاباة والتبعية والتجديد

موسى الخميسي
روما

لم تكن العلاقة بين الفنان التشكيلي والناقد المتخصص طيبة كثيرا في ايامنا هذه، ذلك لان الناقد ليس في نظر الفنان الا شخصاً قصارى همه ان يعيد انتاج ما افتقده في حياته، يجمع في احكامه الجارفة الكثير من الخشونة وعدم المعرفة، كما ان الفنان في نظر الناقد ليس الا شخصاً يحمل الكثير من الطيش والغرور والكثير من الجهالة وفقدان الخيال والمعرفة في عمله الفني.

ومن سوء الحظ بين هذين الميدانين، ان تكون هاتان التهمتان صحيحتين في كثير من الاحيان، فكثير من نقادنا العرب يفتقدون الى المعرفة في فهم اللغة التصويرية، و قليل منهم حرصوا على الجمع بين ممارسة الفن وكتابة النقد، وقليل من فناننا اسهم بقسط من الخيال الاصيل في معرفة عمله الفني، كما ان عدداً قليلاً جدا من النقاد أسدوا يدا طولى للعملية الفنية وجمعوا بين العلم الوافر والخيال السديد والاطلاع الواسع.

ان بعضاً من دارسي الفن التشكيلي وناقديه عندنا لم يجازفوا للاسف بالدخول الى طبيعة الذاكرة والخيال عند الفنان، وان يكون لهم بعض الاهتمام السايكولوجي في معالجتهم المحتويات المادية والحلمية لعمل الفنان، اذ تقتصر معالجاتهم على الجانب اللغوي، كون اغلبهم جاء من الادب، اما ما يسمى بالمستوى الكامن والمتمثل بالرموز فانهم يبتعدون عنه بسبب جهل واحيانا شطط ، ومجاوزة للدقة في مواطن العمل الفني.

في العمل الفني اشياء اخرى الى جانب البيئة التي نما فيها، هي فردية الفنان ومشاعره وموروثه الفيزيولوجي والثقافي والمعرفي، اذ لايمكن اسقاط الموهبة الفردية، ولكن ايضا، العمل الفني لاينزل من السماء، ولا يتمتع بالارادة المطلقة ، فالتجارب الجمالية للفنان غير معزولة عن سائر التجارب الانسانية، وهو ايضا ليس مجرد معرفة او تعميم للواقع، وانما هو تعبير مكثف ومؤثر عن التجارب العاطفية الانسانية، انه نشاط عاطفي حي ومتقد، مبني على التأمل الحسي للموضوع، وهو ايضا حالة شعورية او لاشعورية، قد يتقاسمها الفنان مع جملة من الناس، كما قد تخصه دون سواه، تفضي احيانا الى تصور ما لواقع معين له مفاهيمه وصوره ولغته الخاصة، لغة يكونها النقد او الكتابة التحليلية والنظرية، التي قد تفضي بدورها الى اتجاه فني يعكس نمط حياة بكل مكوناته، وعليه فالعمل الفني متورط في ازمات الحياة وتقلباتها، عمل مندمج في النسيج اليومي وفاعل فيه، عمل يتجاوز مفاهيم سطحية كثيرة. ان كل منتج تتحتم فيه عديد من الامور المتشابكة في حياتنا غير القادرة على الانفكاك منها، ومهمة الناقد كما قالها الشاعر الانكليزي اليوت" توضيح الفن وتصحيح الذوق"وهذه المقولة تطرح عددا من الاسئلة المبنية على المقارنة والتحليل، على اساس ابداعي وليس اتباعياً، تكمن في معظم الاحوال عن ماهية العمل الفني اولا من حيث علاقته بحياة الفنان، وماذا يؤدي هذا العمل لصاحبه، وماذا يؤدي للمتلقي، ودور الناقد الفني الذي يريد اعمالاً فنية متميزة على الدوام ويريد فنانا مستمعا، فانه يقدم ملاحظاته لمساعدة المتلقي على فهم وتذوق العمل، وهو يساعد الفنان في فهم طبيعة عمله وتقويمه، ليعينه في ايقاظ الاحساس بالمعرفة. وهذا يشترط بالناقد امتلاك صور مجازية متعددة حين يقف امام عمل الفنان، كما يشترط امتلاكه الاحساس المرهف ونفاذ البصيرة النقدية وقوة الاحساس والذكاء والمعرفة والمهارة وايضا القدرة على الكتابة. فعمل الناقد كما وصفه احد النقاد الغربيين هو مثل من يرش الارض بالسماد من اجل حصاد طيب. الناقد يجب ان يحرص على نشر مثل هذا السماد بخلق مراجعة ثقافتنا النقدية وتضييق الهوة بين الفنان ووظيفة الناقد، ووضع همزة وصل بين العمل الفني وتقويمه الى متذوقيه اولا، بدون تعسف وبدون محاباة ولكن بحيادية تدعو الجميع الى الاقتراب للعمل الفني، مع اننا ندرك بصعوبة الارتقاء الى هذا العمل في احيان كثيرة، الا ان الناقد عليه ان يبتعد عن منح الاحكام او تقديم الاطراءات الساذجة، وقطع المسافات الشاسعة في الكتابة لاجل خلق التباين والبحث عن التشابه مع اذواق البعض، فالعملية الفنية هي بالاساس عملية تقويم اخلاقي للتجربة الانسانية بواسطة تقنيات تجعل من الممكن اجراء تقويم نقدي، فما دام الفن اخلاقياً لابد من ان يكون النقد مثله بالضرورة كما يقول الناقد فراي، ولا يتحقق مثل هذا الطموح الا من خلال مطالبة المشاهد للعمل الفني ان يشارك في اضفاء كل الدلائل على العمل الذي يراه، اي بمعنى اخر اشراك الجمهور المتلقي في العثور على المعنى الذي بالكاد يكون احيانا مخبوءا في ثنايا العمل، اذ لم يعد هناك من يقين في الفن المعاصر، فالعلاقة بين الفن والطبيعة اصبحت علاقة اشكالية، ولم تعد فنون اليوم قادرة على تحقيق توقعاتنا الساذجة فيما يتعلق بفن التصوير كما افرزته فترة عصر النهضة، كما لم يعد بمقدرونا ان نسأل عن المضمون الذي يحتويه العمل الفني ، فنحن جميعا نقاداً ومتلقين نعرف تماما حيرة الفنان الذي يلجأ الى تجريد اشكاله وتفكيكها في الوقت الذي نطلب منه ان يمدنا بعنوان لفظي لعمله الفني الذي ينتصب امامنا، فالعلاقة الكلاسيكية القديمة بين الطبيعة والفن، علاقة المحاكاة. لم تعد سارية المفعول في زمننا الحاضر. كما على الناقد العربي ان يروض الذائقة الجمالية لجمهوره وان يتخلى وللابد عن مقولات تشمل ضرورة وجود نظرية عربية جمالية وخزان بصري عربي وهجمات غربية على الفن العربي، فهذه تقسيمات تعسفية تعيق وتربك حرية العمل الابداعي ، وتكسر اجواء التعاطي المطلوب مع المنتج العالمي، اذ لاخوف علينا من العبور الى كل بقع الابداع المضاءة والموجودة في كل مكان، ان جوهر حقيقة العالم الفني ، هو كشف للحقيقة في كل مكان بفعل الحضور الدائم للفنان، فالانفتاح يزيد الفن غرابته وتنمو وحدته ويتعاظم تفرده ليخرج عن المعتاد.

النقد يتوجه على الدوام نحو المستقبل، ويخاطب الحاضر برؤية مستقبلية، والناقد التشكيلي يجب ان يكون ضد النموذج والنمطية وان يظل مرتبطا بالافكار المبدعة، والتي تستخلص من العمل الفني نفسه ومن اجتهاد الفنان وقدرته على التقاط المشاهد او الظواهر قبل ظهورها والتي نمر بها كمتلقين من دون القدرة على اكتشافها او حتى الانتباه اليها. كما ان النقد قادر الى حد كبيرعلى خلق وعي فني متوخى، ولئن عجز العمل الفني احيانا عن ايصال المشاهد الى خلق تذوق الجمال الفني والاحساس به بكونه ارفع مكانة من الجمال الطبيعي حسب اعتقاد (هيغل) لانه من ابداع الروح ونتاج الحرية، وما هو من انتاج الروح اسمى من الطبيعة.

والمنهج ضروري للناقد لانه اولا يكشف لنا عن ازمة وعينا الجمالي الاغترابي الذي اصبح ينظر الى الفن باعتباره شكلا جماليا منعزلا ومستقلا عن سائر اشكال حياتنا الانسانية، وثانيا فانه تمهيد مدخل جيد ورؤية عميقة للفن ترتكز على ثلاثة مفاهيم هي: التفسير والفهم والحوار، وثالثا فانه ينظم عمله ويرتبه ويحضر من خلاله عمل الفنان ليضع له حلا بما يملك ويليق من خيال بصري بدون تأويلات متحذلقة وبدون نظريات وطروحات تحولت بمرور الزمن الى ايقونات مدرسية تظهر انحيازها القلق الى عقل المتلقي، ذلك ان الافتراضات الساذجة بان العمل الفني يعد مشهدا يشبه ذلك المشهد الذي نراه يوميا في خبرتنا بالطبيعة او بالطبيعة التي يشكلها الانسان، هو افتراض قد تم تقويضه من الاساس بشكل واضح، فنحن لم يعد بمقدورنا ان نشاهد لوحة تكعيبية او لوحة لاموضوعية بلمحة واحدة وبنظرة سلبية فحسب، اذ يجب ان نشارك بانفسنا مشاركة فعالة ونحاول جاهدين ان نركب الاشكال التخطيطية للاسطح المختلفة على نحو ما تظهر على نسيج اللوحة ، فعندئذ فقط ربما امكن ان نصبح مأخوذين وان نتسامى بفعل الانسجام والنظام العميق في عمل ما.

وعلى الناقد الاستفادة من مناهج النقد الغربي في التحليل والدرس، لانه ضرورة فرضتها المراحل التي نما فيها الفن التشكيلي الغربي، فالناقد الغربي استطاع ان يغني نفسه وفكره بوفرة ما توفر له من تاريخ عريق تأسس على رؤية معاصرة لم تلغ السابق تماما، بل سعى الناقد في فهم الحداثة في الفن للافادة منها لخلق روح تتوسط بين ما هو موروث وبين افق الحداثة التي اطلقت النار على الفن التقليدي وآلياته المتبعة وموضوعاته وما واجهه من عمليات تحديث في ضوء منظور تطوري جمالي مستند لقاعدة من القيم الفكرية بعيداً عن دراما الملحمية المعتادة في الفنون التي جاءت بعد عصر النهضة. فالحداثة موجة والعوم ضدها مخاطرة، فاما الغوص حتى تمر من فوق رؤوسنا. فنظل في القاع واما العوم فنكون من الناجين لنحتل مرتبة من مرتبات الحياة المعاصرة. لايمكن تجاوز الحداثة ومعارضتها الا باستيعابها. الناقد الغربي يرى الفنان مجرد وسيط قادر على ان يكون ناجحا او فاشلا في استحضار عمله الفني في نوع من الوضوح الذاتي غير المتكلف.ان اتباع التوسط عند الناقد العربي بين طرز الحداثة وآلياتها المتبعة في الغرب وبين الموروث العربي وضغوطاته على الفنان النازع نحو التجديد والحداثة، هو الحل الاكثر توفيقا في تشخيص العمل وايجاد مقارب موضوعي يتيح له تحقيق الخطوة الاولى في فهم عملية البناء الفني، وتحديد دور الفنان في هذا البناء، فالفن ليس وصفا او تعبيرا عن حالات شعورية بقدر ما هو عملية خلق تتوفر فيها شروط اساسية اهمها توفر العقل الخالق لدى الفنان ونضوجه والمامه بالتقاليد الفنية التي انحدرت اليه من الماضي، فالفنان ينفعل للموضوع ويترجم انفعالاته من خلال اتباع اساليبه الفنية ، ذلك ان كل عمل فني منجز قادر على ان يرينا شيئا نبصره بالعين وشيئاً اخر ندركه بالبصيرة.

يقابل ما ذكر تنشط ظاهرة اهمال وتهميش وتقليل قيمة النقد الفني من عند الفئات المثقفة والفنانين انفسهم، اذ لامراء في ان اية مقاربة نقدية للعمل الفني ، ولاي فنان، سيحملنا، محمل الجد للبحث عن سبل التعثر والارتجاج الذي يشكو منه هذا الحق المهم من حقول الثقافة، فنحن نعرف بان الفن التشكيلي باعتباره واحدا من الاجناس الثقافية كفيل بان يضطلع بادوار طلائعية في المساهمة برسم صورة لكل الاحداث والوقائع، وبامكانه ان يتجاوز مرحلة التعبير عن القائم والثابت والجاهز الى مرحلة تجسيد القادم والمتوخي، والنقد الفني في الوطن العربي يعيش الحيف ، حيث عدم الاهتمام به كباقي مكونات الثقافة التي يلفها التهميش، ولعل مكمن الداء يعزى الى العلاقة المتوترة بين الفنان والناقد من جهة والى الطرح السياسي لما هو ثقافي في البلدان العربية، من ثمة نجد مسوغا حقيقيا لازمة النقد ، وهي ازمة الثقافة العربية ككل والتي تعاني من مشكلة اعتراف داخل البنية الفكرية، فالنقد الفني بالرغم من مرور عقود كثيرة على دخوله الى المجال الثقافي فانه مازال يبحث عن شرعية فعلية تسمح له بالانتقال والتفاعل والتداول.

وهذه الحال في النقد التشكيلي العربي يمكن استشفاف خباياها ومعالمها من خلال الغياب الكبير للمتخصصين في هذا المجال الحيوي، وتحول الكثير من الادباء والشعراء الى الاخذ بزمام الامور لسد هذا النقص الكبير، كما ان العديد من النقاد على قلتهم لا يراعون المسافة بين بنية اللغة وبنية الصورة، اذ لاتزال افكارهم مرتبطة بمفاهيم اللغة العاجزة احيانا امام آنية المشهد، ومع هذا الغياب الذي تزامن مع سيادة المنطلقات والمفاهيم التقليدية القديمة التي لم تعد صالحة للعصر بعد ان فقدت فاعليتها، وكذلك عدم استقلاليتها وخصوصيتها، واصبحت عملية وصفية جامدة مبنية على الادعاءات المعرفية واللغة الصحفية الفضاضة، تبقى الشرائح التشكيلية والثقافية بعيدة عن هذا المجال الحيوي، حيث تتزامن عملية الغياب مع حالة التهميش لماهو بصري في زمن الصورة وزمن البث والقنوات الفضائية للتقبل والادراك. في ظل هذه الوضعية القائمة والمحيطة بفنونا التشكيلية في السياق الثقافي العربي، تنبجس اقامة المعارض والفعاليات التشكيلية، هنا وهناك كمنطلق اساس للشعور بنوع من الدفء والتواصل بين الفنان وذاته وبينه وبين محيطه، ولكن بعيدا عن رقابة الناقد الفني الذي يشكل حضوره هاجسا معرفيا وهما ثقافيا يمكنه من اعطاء الفن التشكيلي اصالته الراهنة، ذلك ان الفنان التشكيلي وإنما كان لايمكنه ان يقدم شيئا، او يستوعب تراثه دون هم ثقافي يساهم في الاشارة اليه الناقد الفني، ذلك ان الناقد الجيد قادر على استحضار الاشكال الجمالية داخل وحدة العمل الفني التي تليق بالعذاب والشقاء والالم والفرح الذي ينطق به الوضع البشري . يسعى الناقد ان لايكون الفنان بمنأى عن الرقابة والملاحظة، وان لايكون بعيدا عن من يفك شفرة توتر العمل وصراعاته القائمة بين مقومات كل عالم على حدة، وان لايكون ايضا بعيدا عن المنشط الحيوي الذي يخلق الترابطات ويحقق ابعاد انسجامية ما بين الفنان وصنيعه الفني من جهة وبين الفنان ومحيطه من جهة اخرى ، عبر ما ينسج من مقولات نقدية ايجابية، تساهم في تحقيق كينونة الفنان وفنه معا. فالنقد الفني هو اللغة الثانية بعد لغة الفنان التي تحول الحساسية العاطفية عند الاخرين الى حساسية فنية خاصة بالمبدع عندما يمتلك القدرة على تجسيد الانفعالات وتنظيم العواطف، وهي ايضا كفيلة بان تعيد صياغة العمل الفني وتعطيه مكانته وتكشف ابعاده، باعتباره خطوة اساسية واجرائية ، ووسيلة ضرورية لضمان التطور الايجابي للفنون، وبدون مثل هذه اللغة، يظل الفن في احيان كثيرة بدون رئة التواصل مع الابداع، وبدون نبض يشار اليه للقيم الجمالية التي يحتضنها العمل نفسه، كما يظل العمل الفني غير مستفز من قبل تأويلات الناقد وتفسيراته وشروحاته وقدرته في استنطاق العمل، ويكتشف ما في دواخله بين الاصالة، بما تطفح به من رموز تراثية وحضارية وثقافية محلية وعالمية ، وبين المعاصرة، التي باتت تتجاوب مع مجمل التيارات ومختلف التجارب العالمية. من جانب اخر فان الناقد يقدم للفنان تحصينات تنبع من الارادة والمعرفة التفصيلية بالاشياء فكريا وتقنيا ، وينبهه الى ظاهرة التكرار والابتذال والاستهلاك والاسفاف، لهذا لايمكن تصور ابداعا مؤثرا بدون اسهامات نقدية واعية وفاعلة، على اعتبار ان الفن لغة بصرية تواصلية سابقة للكلام متجاوزة حدود المكان والزمان، ومن خلالها يتم التعبير عن ذاتنا الوجودية ، في اساليب شكلانية ، تختلف في محتواها من حيث رصد المفردات الفنية التشكيلية .

مختارات من ديوان شمس تبريز

جلال الدين الرومي
ترجمة :عمار كاظم محمد

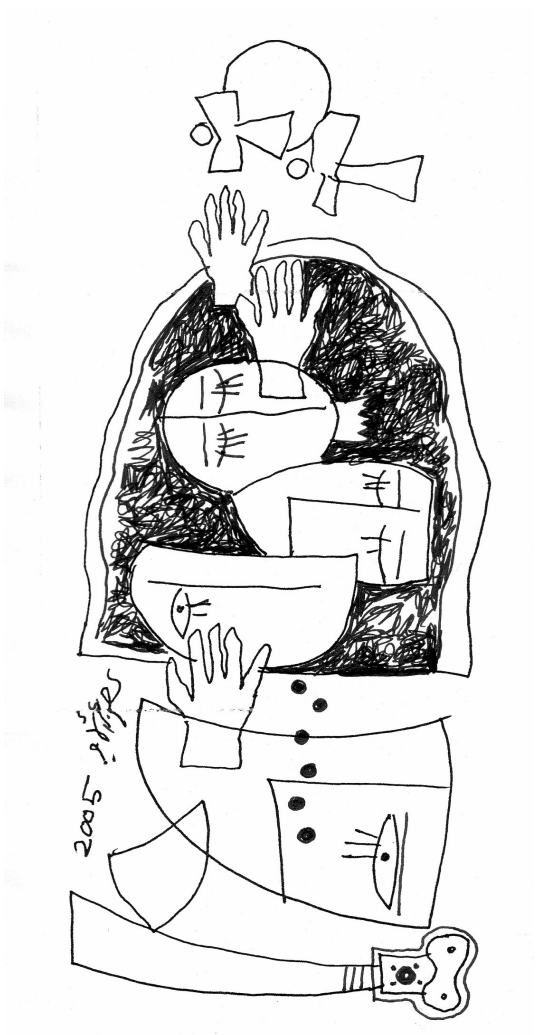

(١)

إذا كنت تعشق المحبوب وباحثا عن الحب
خذ خنجرا حادا واقطع به بلعوم الحياء
لتعرف أن الصيت عائق كبير في هذا السبيل
هذا الكلام غير مريح ، فخذه بعقل صاف
لتدرك أن ما فعله المجنون ، هو جنون بالآلاف من الأشكال
اختر أشدها ليبين آلاف الخدع
والآن وقد شق ثوبا وطار فوق الجبال
والآن ارتشف سما والآن اختار أن يموت
منذ أن قبض العنكبوت على فريسة كبيرة
ليشاهد ماذا يفعل فخ صغير بنا من الله العلي
منذ أن كان الحب لوجه ليلى له ذلك القدر
فكيف سيكون حين " أسرى بعبده ليلا "
ألم تقرأ دواوين ويسا ورامن
ألم تقرأ قصص المحب "الوامق" والعذراء "أدرى"
كما لو أنك تجمع ثوبك لكي لا يبلله الماء
بينما أنت تحتاج إلى الغرق لآلاف المرات في ذلك البحر
طريق العشق كله تواضع وثمل
لأن السيل يتدفق نحو الأسفل
فكيف تريده أن يتدفق نحو الأعلى
ولكي تكون موضع الفص من خاتم العاشقين
فيجب أن تكون موضع العبد . يا سيدي
حتى الأرض للسماء جارية
وحتى الجسد للروح عبد
تعال وقل . ما الذي خسرته الأرض بهذا الرباط
وأية ألطاف لم تكن سببا للأطراف
انه من غير المناسب يا بني أن تضرب الطبل تحت اللحاف
فاغرس-كالرجال الشجعان-رايتك في وسط الصحراء
وأصغ بإذن الروح إلى الأصوات التي لا تعد ولا تحصى
في فضاء القبة الخضراء ، تنهض من شكوى دموع العاشقين
حينما تتحلل خيوط ثوبك من ثمل العشق
ستشاهد فرحة السماء ، وذهول الجوزاء
كيف يكون العالم مرتفعا ومنخفضا ، متألما
من الحب الذي يطهر من الارتفاع والانخفاض
حينما تشرق الشمس ، أين كانت طوال الليل ؟
وحينما تأتي فرحة المحصول . فأين حزن التباطؤ
أنا صامت ، فتكلمي أنت يا روح روح الروح
من شوق الذي وجهه كل ذرة تبدأ الكلام .

(٢)

صحراؤنا ليس لها حدود
قلوبنا و أرواحنا بلا راحة
العالم من العالم يأخذ صورة
فأي من هذي الصور صورنا
وحينما ترى في السيل رأسا قاسيا
متدحرجا باتجاه حقلنا
فاسأله . اسأله عن أسرار القلب
فمنه ستتعلم أسرارنا المخفية
فكيف إذا رأت الأذن نفسها
متعرفة مع السنة منشدينا
كيف إذا حلق الطائر
حاملا طوق السر لعارفنا
ماذا سأقول . أي شيء ؟
لأن تلك القصة كبيرة جدا
على محدودية وجودنا الفاني
كيف نبقى صامتين ، وكل لحظة
يزداد كربنا كربا
طائرا الحجل والصقر متشابهان
وهما يطيران عاليا فوق أرضنا الجبلية
عاليا حيث السماء السابعة على سمت الرأس
أين منه زحل
أليست السماوات السبع تحت العرش
وخلف العرش ثوراتنا
أي مكان هنا للإلهام نحو عرش والسماء ؟
رحلتنا إلى حديقة أزهار الوحدة
فاترك هذه القصة . ولا تسأل أياً منا
لأن قصتنا قوطعت تماما
صلاح الحق والدين سيروي لكم
عن جمال سلطاننا ، ملك الملوك .

(٣)

مساء أمس سلمت للنجم أخبارا تخصك
الآن ، قلت ، خدمتي لذلك القمر كالصورة
أنا أقر ، قلت ، فاحمل تلك الخدمة إلى شمس
الذي جعل من الصخور القاسية ذهبا باحتراقه
لقد حملت صدري ، وشرعته للرياح
وقلت أعطني أخبارا للعاشق الذي شرابه الدم
لقد تحركت جيئة وذهابا ، ذلك الطفل ، قلبي
ربما مازال طفلا ينام حينما يهز أحد ما مهده
أعطي قلبي حليب الرضاع ، وأرحنا من بكائه
يا أنت الذي تساعد في كل لحظة ،مئات اليائسين مثلي
بيت القلب ،أولا وآخرا ، مدينة توحيدك
إلى متى سيظل هذا القلب منفيا ومهجورا
لن أتكلم المزيد لكن لأجل أن أتجنب الصداع
يا حامل الكأس ، اسكر عيني الذابلة .

(٤)

قال داود " يارب إذا كنت بغير ما حاجة لنا
فقل ، إذن ، أي حكمة اقتضت أن تخلق العالمين ؟
فقال له الرب " أيها الإنسان الفاني ، لقد
كنت كنزا مخفيا
ورأيت أن ذلك الكنز من الرحمة والكرم يجب أن يظهر.
لقد أظهرت مرآة وجهها القلب وظهرها العالم
وظهرها خير من وجهها إن كان الوجه غير معروف لديك "
فحين يمتزج القش بالطين ، كيف ستصفو المرآة ؟
وحين تفصل القش عن الطين ستصبح المرآة صافية
فعصير العنب لا يتحول خمرا ما لم يتخمر فترة في الخابية
فإذا أردت قلبا صافيا ، فيجب أن تقع في المشاكل
الروح التي شؤونها قبل الجسد قال لها مليكي
لقد أتيت حتى كأنك تذهبين : فأين آثار إحساني ؟
فالنحاس الرديء يصبح بالكيمياء ذهبا
ونحاسنا مازال يتحول بهذه الكيمياء النادرة
ومن رحمة الله هذه الشمس لا تريد تاجا ولا رداء
فهو قبعة لمئات الرجال الصلعان وعباءة لعشرات الأطفال العراة
المسيح ركب الحمار لأجل التواضع
فكيف بالأخرين الذين يجب أن يسيروا في الريح الغربية على ظهره ؟
أيتها الروح ، اجعلي راسك باحثا وابحثي مثل مياه الجدول .
ويا أيها السبب ، لكي تحصل على الحياة الأبدية
فدس بلا نهاية طريق الموت
واذكر الله حتى تنسى النفس
فربما تضيع في المناداة
دون أن تحطم المنادي والنداء .